

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا
مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

المناسبة بين
العهد وما حرّم
على العبيد،
وبين الصّلاة
والطّهارة وضوءًا
وتيمّمًا

لَمَّا افْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى السُّورَةَ بِالْأَمْرِ بِإِيْفَاءِ الْعُهُودِ، وَذَكَرَ تَحْلِيلًا
وَتَحْرِيمًا فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَنْكَحِ، وَاسْتَقْصَى ذَلِكَ، وَكَانَ النَّوْعَانِ
مَعَامَلَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ بَيْنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى
الْمَعَامَلَاتِ الْآخِرَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ﷻ، وَلَمَّا كَانَ أَفْضَلَ
الطَّاعَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةُ، وَالصَّلَاةُ لَا تُمْكِنُ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ؛
بَدَأَ بِالطَّهَارَةِ، عَلِمًا أَنَّ الصَّلَاةَ وَمُقَدِّمَاتِهَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَالْوُضُوءِ
وَالْتَّيَمُّمِ، مِنْ جُمْلَةِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى
بَعْدَ آيَةِ الْوُضُوءِ مُبَاشَرَةً: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي
وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾، مِمَّا يَجْعَلُهَا دَاخِلَةً تَحْتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي افْتِتَاحِ السُّورَةِ
مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْمَرَافِقِ﴾: جَمْعُ مِرْفَقٍ، وَهُوَ مَوْصِلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَضُدِ، وَسُمِّيَ
مِرْفَقًا؛ لِأَنَّهُ يُسْتَرَاخُ فِي الْإِتْكَاءِ عَلَيْهِ، يُقَالُ: ارْتَفَقَ الرَّجُلُ؛ إِذَا اتَّكَأَ

على مرفقه في جلوسه، والمِرْفَق من الإِنْسَان والدَّائِبَة: مَوْصِل الذَّرَاعِ فِي الْعَضْدِ، وَالْمِرْفَقُ: الْأَمْرُ الرَّافِقُ بِكَ، وَكَذَلِكَ فُسِّرَ فِي التَّنْزِيلِ، وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: بَلِ الْمِرْفَقُ فِي الْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا، وَالْكَوْفِيُّونَ يَقُولُونَ: مِرْفَقُ الْإِنْسَانِ⁽¹⁾، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ أَنَّهُ قَالَ: الْمِرْفَقُ: مَا جَاوَزَ إِبْرَةَ الذَّرَاعِ الَّتِي مِنْ عِنْدِهَا يَذْرَعُ الذَّرَاعُ، قَالَ: وَالْقَبِيحُ: رَأْسُ الْعَضْدِ الَّذِي يَلِي الْمِرْفَقَ، قَالَ: وَزَجَّ الْمِرْفَقُ مَا بَيْنَ الْقَبِيحِ وَبَيْنَ إِبْرَةِ الذَّرَاعِ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَرْتَفِقُ عَلَيْهِ الْمُتَكَيُّ؛ إِذَا أَلْقَمَ رَاحَتَهُ رَأْسَهُ، وَثَقَّى ذِرَاعَهُ، وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْحَدُّ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي غَسْلِ الْيَدِ⁽²⁾.

(2) ﴿جُنُبًا﴾ أَي: إِنْ أَصَابَتْكُمْ الْجَنَابَةُ؛ سُمِّيَتْ الْجَنَابَةُ بِذَلِكَ؛ لَكُونِهَا سَبَبًا لِتَجَنُّبِ الصَّلَاةِ فِي حُكْمِ الشَّرْعِ، وَأَصْلُ (الْجُنُبِ): الْبُعْدُ، "وَرَجُلٌ جُنُبٌ، وَامْرَأَةٌ جُنُبٌ، مِنْ قَوْمٍ جُنُبٍ، هَذَا أَعْلَى اللُّغَاتِ الْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْجَمْعُ وَالْوَّاحِدُ فِيهِ سَوَاءٌ؛ إِذَا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ، وَقَدْ أَجْنَبَ الرَّجُلُ؛ إِذَا أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ"⁽³⁾، وَفِي الْحَدِيثِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ قَرَاظٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ"⁽⁴⁾، أَي: مِنْ جَمَاعٍ وَمَوَاقِعَةٍ⁽⁵⁾.

(3) ﴿الْغَائِطُ﴾: هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَالْغَائِطُ: الْمَطْمِئُنُّ مِنَ الْأَرْضِ، وَجُعِلَ كُنَايَةً عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا قَضَاءَ الْحَاجَةِ؛ أَتَوْا غَائِطًا مِنَ الْأَرْضِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فِيهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ قَضَى حَاجَتَهُ: مُتَغَوِّطٌ، وَأُطْلِقَ الْغَائِطُ عَلَى الْعَذْرَةِ نَفْسِهَا، وَأَصْلُ (غَوِطَ): يَدُلُّ عَلَى اطمئنانٍ وَغُورٍ⁽⁶⁾، كَانَ الْكَسَائِيُّ يَقُولُ: "إِنَّمَا سَمِيَ الْغَائِطُ: غَائِطًا؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ؛ قَالَ: حَتَّى أَتِيَ الْغَائِطَ، فَأَقْضِي حَاجَتِي، وَإِنَّمَا أَصْلُ الْغَائِطِ الْمَطْمِئُنُّ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ: فَكَثُرَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ، حَتَّى سَمُّوا غَائِطَ الْإِنْسَانِ بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْعَذْرَةُ، إِنَّمَا هِيَ فَنَاءُ الدَّارِ، فَسُمِّيَتْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُلْقَى بِأَفْنِيَةِ الدُّورِ"⁽⁷⁾.

(4) ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقْصِدُوا الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ لِلتَّيَمُّمِ بَدَلًا عَنِ الْوُضُوءِ أَوْ الْغُسْلِ، وَتَعَمَّدُوا، وَأَصْلُ التَّيَمُّمِ: قَصْدُ الشَّيْءِ وَتَعَمُّدُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فَالتَّيَمُّمُ

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رفق).

(2) الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص: 24.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (جنب).

(4) الحربي، غريب الحديث: 4/323، والزمخشري، الفائق: 3/185.

(5) الأنباري، الزاهر: 1/465.

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (غوط).

(7) ابن سلام، غريب الحديث: (حرج).

فِي التَّفْسِيرِ وَالْكَلَامِ: التَّعَمَّدُ لِلشَّيْءِ، وَيُقَالُ مِنْهُ: أَمَمْتُ الشَّيْءَ أَوْمَهُ أَمًّا، وَتَأَمَّمْتُهُ وَتَيَمَّمْتُهُ، وَمَعْنَاهُ كُلُّهُ: تَعَمَّدْتُهُ، وَقَصَدْتُ لَهُ، قَالَ الْأَعَشَى:

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ***مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمِهِ ذِي شَرِّ⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أَي: اقْصِدُوا لِصَعِيدٍ طَيِّبٍ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ حَتَّى صَارَ (التَّيَمُّمُ) مَسَحَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بِالتُّرَابِ، (وَيَمَّمُ) الْمَرِيضُ، (فَتَيَمَّمُ) لِلصَّلَاةِ⁽²⁾.

(5) ﴿صَعِيدًا﴾: أَي: تَرَابًا، الْمَادَّةُ تَدُورُ حَوْلَ الارتفاعِ وَالْعُلُوِّ وَالارتفاعِ، فيقال: صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا: عَلا، وَالصُّعْدُ: الْعُلُوُّ، وَالصُّعُودُ: الارتفاعُ إِلَى أَعْلَى، وَالصَّعِيدُ: الْغُبَارُ الَّذِي يَصْعَدُ؛ مِنَ الصُّعُودِ، وَيُطْلَقُ - أَيْضًا - عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَسُمِّيَ التُّرَابُ صَعِيدًا؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى مَا يَجِبُ فِي التُّرَابِ الصَّالِحِ لِلتَّيَمُّمِ مِنْ ضَرُورَةِ قَابِلِيَّتِهِ لِلإِثَارَةِ وَالصُّعُودِ عَلَى هَيْئَةِ الْغُبَارِ، وَلَوْ كَانَ مُلْتَصِفًا بِالْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلتَّيَمُّمِ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

قَدْ اسْتَحَلُّوا قِسْمَةَ السُّجُودِ***وَالْمَسَحَ بِالْأَيْدِي مِنَ الصَّعِيدِ⁽³⁾.

(6) ﴿حَرَجٌ﴾: أَي: ضِيقٌ وَإِثْمٌ، وَأَصْلُ الْحَرَجِ: تَجَمُّعُ الشَّيْءِ وَضِيقُهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ"⁽⁴⁾، يَقُولُ: لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ؛ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا⁽⁵⁾، ويقال: حَرَجًا: شَاكًا، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ:

فَتَكُونُ عِنْدَ الْمُجْرِمِينَ بَزَعِمِهِمْ***حَرَجًا وَيَفْقَهُهَا ذُووُ الْأَلْبَابِ⁽⁶⁾.

وَقَالَ اللَّيْثُ: "أَحْرَجْتُ فَلَانًا: صَيَّرْتُهُ إِلَى الْحَرَجِ، وَهُوَ الضِّيقُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَحْرَجْتُ فَلَانًا، أَي: أَلْجَأْتُهُ إِلَى مَضِيقٍ، وَكَذَلِكَ أَجَحَرْتُهُ، وَأَجَرَدْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَقَوْلُهُمْ: رَجُلٌ مُتَحَرِّجٌ، كَقَوْلِكَ: رَجُلٌ مُتَأَثِّمٌ وَمُتَحَوِّبٌ وَمُتَحَنِّثٌ: يُلْقِي الْحَرَجَ وَالْإِثْمَ وَالْحُوبَ وَالْحِنْتَ عَنْ نَفْسِهِ"⁽⁷⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب: 1/156.

(2) الرَّاغِبِيُّ، لسان العرب: 1/156.

(3) ديوان ذي الرِّمَّةِ: 1/339 - 340، وكذلك: الخليل، العين: 1/290.

(4) هذه العبارة جزء من حديث: البخاري، الحديث رقم: (3461).

(5) الحربي، غريب الحديث: 1/339 - 340، وكذلك: الخليل، العين: 1/290.

(6) ديوان كعب بن زهير، ص: 236، وكذلك: الأنباري، الزَّاهِر: 1/236.

(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (حرج).

(7) ﴿فَاغْسِلُوا﴾: الإِسَالَةُ، مصدرُ غَسَلَ، والغُسْلُ بالضَّمِّ: اسمٌ للطَّهارةِ مِنَ الْخَبَائِثِ والحَيْضِ والنَّفَاسِ، ويطلقُ الغُسْلُ على تطهيرِ الشَّيْءِ وَتَنْقِيَتِهِ، غَسَلْتُ الشَّيْءَ غُسْلًا بالفتح، والاسمُ الغُسْلُ بالضَّمِّ، يقال: غُسِلْتُ وغُسِلَ... والغَسُولُ: الماءُ الَّذِي يُغْتَسَلُ بِهِ، وكذلك الْمُغْتَسَلُ، قال اللهُ تعالى: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42]، والمُغْتَسَلُ أَيضًا: الَّذِي يُغْتَسَلُ فِيهِ⁽¹⁾.

(8) ﴿وَأَمْسَحُوا﴾: إِمْرَارُ الْيَدِ عَلَى الشَّيْءِ السَّائِلِ، وإِمْرَارُ الشَّيْءِ بَسْطًا، وَمَسَحُهُ بِيَدِي مَسَحًا، ويعني هذا: أَنْ الغَسْلَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ إِسَالَةِ الْمَاءِ عَلَى الْعُضْوِ لِتَطْهِيرِهِ وَتَنْقِيَتِهِ، وَأَنْ الْمَسْحَ يُكْتَفَى فِيهِ بِإِمْرَارِ الْيَدِ عَلَى الْعُضْوِ، وَمِنْ الْحَدِيثِ: «تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ»⁽²⁾، أَرَادَ بِهِ التَّيْمُمَ، وَقِيلَ: أَرَادَ مُبَاشَرَةَ تَرَابِهَا بِالْجَبَاهِ فِي السَّجْدِ مِنْ غَيْرِ حَائِلٍ، وَيَكُونُ هَذَا أَمْرًا تَأْدِيبِيًّا وَاسْتَحْبَابًا، لَا وَجُوبًا⁽³⁾.

(9) ﴿الْكَعْبَيْنِ﴾: مُتْنَى الْكَعْبِ، وَهُوَ الْعَظْمُ النَّاتِي عِنْدَ مُلْتَقَى السَّاقِ وَالْقَدَمِ، وَفِي كُلِّ قَدَمٍ كَعْبَانِ عِنْدَ يُمْنَتِهَا وَيُسْرَتِهَا⁽⁴⁾، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْكَعْبَانِ: الْعَظْمَانِ النَّاشِرَانِ فَوْقَ ظَهْرِ الْقَدَمِ، قَالَ الْفَارِسِيُّ: وَهُوَ مِمَّا اعْتَقَبَ عَلَيْهِ الْمَثَالَانِ، قَالُوا: كُؤُوبٌ وَكِعَابٌ، وَقَالُوا فِي الْقَلِيلِ: أَكْعَبُ، ثَابِتٌ، وَفِي كُلِّ رَجُلٍ كَعْبَانِ، وَهُمَا عَظْمَا طَرَفِ السَّاقِ وَمُلْتَقَى الْقَدَمَيْنِ⁽⁵⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

ينادي اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا: أَنْ إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَكُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ: فَاغْسِلُوا مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ بِجَنَابَةٍ: فَتَطَهَّرُوا بِالْإِغْتِسَالِ مِنْهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى، تَخَافُونَ مِنْ زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ تَأَخَّرِ شِفَائِهِ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ، أَوْ كُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ مَثَلًا، أَوْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ بِمُجَامَعَةِ النِّسَاءِ، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً لِتَطَهَّرُوا بِهِ:

موجبات الوضوء
والغسل
والتيمم تخفيفًا
حالة السفر
والمريض وانعدام
الماء

(1) الجوهري، الصحاح: (غسل).

(2) الحربي، غريب الحديث: 1/220، والزمخشري، الفائق: 3/336 وابن الأثير، النهاية: 4/327.

(3) ابن الأثير، النهاية: 4/327.

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (كعب).

(5) ابن سيده، اللخص: (القدم).

فامسحوا وجوهكم، وامسحوا أيديكم من الصَّعيد، فالله لا يريد أن يُضَيَّقَ عليكم في أحكامه عامَّةً، وفي أحكام الصَّلَاة والطَّهارة خاصَّةً، بأن يُلْزِمَكُم استعمال الماء المؤدِّي إلى ضرركم، بل رَخَّصَ لَكُم التَّيَمُّمَ تَوْسَعَةً عَلَيْكُمْ، ورحمةً بكم؛ إذ جعله بديلاً للماء في الطَّهارة، عند تعذُّره، لمرضٍ أو لفقد الماء؛ إتماماً لِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ، لعلَّكُمْ تشكرون ربَّكُمْ بطاعته، في اتِّباع أوامره، واجتناب نواهيه.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

المجازُ المرسلُ وأثره في إبرازِ المعنى في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾:

مَنْ أَرَادَ الصَّلَاةَ؛
بَادَرَ إِلَيْهَا طَاعَةً
لِلَّهِ، بِكُلِّ وَسَائِلٍ
الطَّهَارَةِ الْأَصْلِيَّةِ
وَالْبَدِيلَةِ

في الآية الكريمة مجاز في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، وهو من المجاز المرسل، وعلاقته المسبَّبة، والمعنى: (إذا أردتُم القيامَ إلى الصَّلَاةِ)، فَعَبَّرَ عن إرادة القيام بالقيام؛ لأنَّ القيامَ متسبَّبٌ عن الإرادة ونتيجةٌ عنها، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، أي: إذا أردتَ القراءة، فلمَّا كان الفعلُ مُتَسَبِّبًا عن القدرة والإرادة؛ أقيمَ المسبَّبُ مقامَ السَّبَبِ، وفي التعبير بالمجاز إيجازٌ، وللتَّشْبِيهِ على أَنَّ مَنْ أَرَادَ الصَّلَاةَ، يجب أن يبادِرَ إليها، بحيث لا ينفكُ الفعلُ عن الإرادة، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ: إذا قَصَدْتُمُ الصَّلَاةَ؛ لأنَّ التَّوَجُّهَ إلى الشَّيْءِ والقيامَ إليه قَصْدٌ له⁽¹⁾، وفي هذا المجاز: "إشارةٌ إلى أَنَّهُ ينبغي أن تكونَ هذه الإرادةُ إرادةً فاعلةً، حتَّى كأنَّها لا تلبثُ أن تُترجَمَ إلى حدثٍ وفعلٍ، وفي ذلك طَرْدٌ للأمانى المتقاعسة"⁽²⁾، والمقصود بالإرادة: النِّيَّةُ، وهي واجبةٌ في الطَّهارة، وهذا مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ، وأكثرُ العلماء، وظاهرُ الآيةِ يَقْتَضِي وَجُوبَ الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ مَرَّةٍ يُرِيدُ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، لَكِنْ أَعْلَمْنَا بَيَانِ السُّنَّةِ وَفِعْلِ

(1) قال شيخ زاده: "ويحتمل أن يكون القيام إلى الصَّلَاة مجازًا عن قصد الصَّلَاة وإرادتها، على طريق ذكر اللزوم وإرادة اللزوم، لأنَّ قصد الصَّلَاة من لوازم القيام، متوجِّهاً إلى الصَّلَاة، فقيل: إذا قمتم متوجِّهين إلى الصَّلَاة، وأريد: (إذا قصدتم الصَّلَاة)"، ينظر: شيخ زاده:

حاشية على تفسير البيضاوي: 3/482.

(2) أبو موسى، التصوير البياني، ص: 353.

النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»، وَأَنْتُمْ عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ؛ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»⁽¹⁾.

دلالة حرف الجرّ (إلى) في تحديد معنى القيام في قوله: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»:

إِنَّ حَرْفَ الْجَرِّ «إِلَى» فِي قَوْلِهِ: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ» يُشِيرُ إِلَى تَضَمِينِ الْقِيَامِ مَعْنَى السَّعْيِ وَالنُّهُوضِ، أَيْ: إِذَا نَهَضْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، وَسَعَيْتُمْ إِلَيْهَا؛ فَتَطَهَّرُوا، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ هُنَا: الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ، وَلَكِنَّ الْقِيَامَ إِلَيْهَا وَالسَّعْيَ لِأَدَائِهَا، وَهُوَ تَعْبِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَنْبَغِي لِلصَّلَاةِ مِنْ نَشَاطٍ وَنُهُوضٍ وَسَعْيٍ وَجِدٍّ، "مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمُسَبِّبِ وَإِرَادَةِ السَّبَبِ، لِلإِجَازِ وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الشَّأْنَ فِي الْمُؤْمِنِينَ: أَنْ يَكُونُوا دَائِمًا عَلَى ذِكْرِ مَنْ إِرَادَتِهَا، وَعَدَمِ الإِهْمَالِ فِي أَدَائِهَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا: الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ: إِرَادَتُهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ الْكَلَامُ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ لِلزَّمِ تَأْخِيرِ الْوُضُوءِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ: انْتِصَابُ الْقَامَةِ أَوْ مَا يَشْبَهُ ذَلِكَ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ: الْإِشْتَغَالُ بِأَفْعَالِ الصَّلَاةِ وَأَقْوَالِهَا وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهَا"⁽²⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِـ (إِذَا) الدَّالَّةُ عَلَى تَيَقُّنِ الْوُقُوعِ فِي قَوْلِهِ: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»:

التَّعْبِيرُ بِأَدَاءِ الشَّرْطِ «إِذَا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا»، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأُمَّةَ سَتَكُونُ طَاعَتِهَا فِي اتِّبَاعِ الْمَأْمُورِ، وَامْتِثَالِهَا فِي أَدَاءِ الْمَفْرُوضِ، مُتَجَسِّدًا فِي الْإِنْصِياعِ لِلْأَمْرِ الْوَارِدِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي (إِذَا) تَيَقُّنُ وَقُوعِ الْفِعْلِ الْمَاضِي بَعْدَهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ ﴿١﴾» النَّصْرُ:

التَّهَيُّؤُ لِأَدَاءِ
الصَّلَاةِ عَلَى
الْوَجْهِ الْمُرَادِ
شَرْعًا، مِنْ
تَمَامِ الْعِبَادَةِ
وَالْتَّبَتُّلِ

الصَّلَاةُ تَقُومُ
عَلَى نِيَّةٍ قَصْدِيَّةٍ،
وَمُمَارَسَةٍ عَمَلِيَّةٍ
تَعْبُدِيَّةٍ

(1) البخاري، ، الحديث رقم: (135).

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/58.

[1]، وتدلُّ أيضًا على تَيَقُّنِ الإرادة، أي: النِّيَّةِ وتأكُّدِها، بل ووجوبها عند القيام بأيِّ عمل، لما ورد في الحديث الصَّحيح: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَّا نَوَى»⁽¹⁾.

الفرق بين التعبيرين في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ و﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾:

استعمال الأداة
في موضعها دقَّة
تعبير، وروعة
بيان، وتآلف
نغم

الأداة (إذا) تدخل على ما هو حاصل ومنتظر، والأداة (إن) تدخل على ما هو متوقَّع ومحتمل؛ لذا فهم بأنَّ الصَّلَاةَ حاصلة دائماً دون تخلف، أمَّا الجنابة المعبر عنها بالأداة (إن)؛ فهي شيء طارئ، وليس دائماً، "وهذا من دقَّة التعبير، واختيار الكلام ليناسب المعنى، وقد بلغ القرآن المنتهى في هذا المجال، فلو حاول الإنسان أن يستبدل كلمة من القرآن الكريم بمرادف لها أو بديل عنها، حتَّى ولو كان لها مئة مرادف؛ فإنه لن يجد أنسب منها في موضعها من الآية، سواء من ناحية المعنى، أم التُناسق، أم النِّغم المتآلف في آيات القرآن الكريم"⁽²⁾.

دلالة جواب الشرط بعد الأداة وفعل الشرط في قوله: ﴿فَاغْسِلُوا﴾:

الآية مقيَّدة
بقريئة دلالة
الحال على
معنى (إذا قمتم
إلى الصَّلَاة
وأنتم محدثون).

يدلُّ جواب الشرط ﴿فَاغْسِلُوا﴾ بعد (إذا) الطَّرْفِيَّة الدَّالَّة على وقوع الفعل في المستقبل، وجملة ﴿فَاغْسِلُوا﴾: لا محلَّ لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، على أنَّ الوضوء شرط الصَّلَاة، فلا تصحُّ إلَّا به، وظاهر الآية يُوجِبُ الوُضُوءَ عَلَى كُلِّ قَائِمٍ إِلَى الصَّلَاةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَدِّثًا، وَالْإِجْمَاعُ عَلَى خِلَافِهِ⁽³⁾، وتعليقاً على قول الألويسيَّ بأنَّ ظاهر الآية يفيد وجوب الوضوء على كلِّ قائمٍ إلى الصَّلَاة، وإن لم يكن محدثاً؛ نظراً إلى عموم الَّذِينَ آمَنُوا من غير اختصاص

(1) الإمام أحمد، للسند: 1/303.

(2) صافي، الجدول: 5/288.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/94.

بالمحدثين، لكنَّ الإجماع على خلاف ذلك؛ لما أخرجه مسلم بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ يَوْمَ الْفَتْحِ بوضوء واحد، وسأله عمر، فقال: «عمدًا فعلته، يا عمر»، قال الطنطاوي: "يعني: بيانًا للجواز، فاستحسن الجمهور كون الآية مقيّدة، والمعنى: (إذا قمتم إلى الصَّلَاة، وأنتم محدثون)، بقرينة دلالة الحال"⁽¹⁾.

الأمر في قوله: ﴿فَاغْسِلُوا﴾ للجوب أو النذب، على حسب أحوال المتوضئ:

والأمر في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ للجوب بالنسبة للمحدثين حدثًا أصغر، فإذا أراد أحدهم الصَّلَاةَ؛ وجب عليه الوضوء للصَّلَاة، أمّا بالنسبة للمتطهر؛ فالأمر له بالنذب للوضوء عند كلِّ صلاةٍ، وهذا ما كان يفعله عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ وكان يتلو هذه الآية الكريمة، وهذا ما كان يفعله عبدُ الله بنُ عمر - رضي الله عنهما - وهذا مذهب الجمهور.

الوضوء الواجب
والندوب،
كلاهما طاعة
ومثوبة

اختلاف العلماء في دخول المرافق في الغسل في قوله: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى

المرافق﴾⁽²⁾:

قال بعض العلماء: إنَّ المرفق داخل في مسمى اليد؛ لأنَّ اليد من رأس الأنامل إلى الإبط، وقال زفر: إنَّ (إلى) لانتها الغاية، والمنتهى غير النهاية، فلا يتعيّن غسل النهاية، ومذهب الزجاج: أنَّ المرفق: اسم لما جاوز طرف العظم، فإنَّه هو المكان الذي يرتفق به، أي: يتكأ عليه، ولا نزاع في أنَّ ما وراء أطراف العظم لا يجب غسله، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: 187]، فإنَّ النَّهار منفصل عن اللَّيْلِ في الحسِّ، ولا شكَّ في أنَّ امتياز المرفق

الخلاف الفقهي
مرده إلى التأويل
الغوي،
لارتباط الأحكام
الشرعية باللغة

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/58.

(2) قوله تعالى: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، قيل: بمعنى: (مع)، كقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُدَّتِكُمْ﴾ [هود: 52]، وهذا قول ضعيف، والصحيح: أنَّها لانتها الغاية، وإنَّما وجب غسل المرافق بالسَّنة، لأنَّه ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، إذ لا بدَّ من غسل المرافق، ليتمَّ غسل الأيدي، والخلاف بين الأئمة قائم على تأويل كلٍّ منهم معنى: (إلى) كما اختلفوا في تأويل: (الباء) في قوله تعالى: ﴿وَأَنسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، فالشافعي قال: هي للتبعض، وبه أخذ أبو حنيفة، وعدَّ مالك الباء للتوكيد، بمعنى: بكلِّ رؤوسكم، وهو قول للإمام أحمد، ينظر: صافي، الجدول: 5/287، 5/288.

عن السَّاعِدِ لَيْسَ مُنْفَصِلًا مَعِيًّا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَلَيْسَ إِجَابَ الْغَسْلِ إِلَى حَيْزٍ، أَوَّلَى مِنْ إِجَابِهِ إِلَى حَيْزٍ آخَرَ، فَوَجِبَ الْقَوْلُ بِغَسْلِ كُلِّ الْمُرْفَقِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: النَّهْيَةُ غَيْرُ الْمُتَنَاهِي، وَغَسَلَ الْمُرْفَقَ لَمْ يَفْهَمْ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَإِنَّمَا فَهَمُ مِنْ فَعْلِهِ ﷻ، وَعَلَيْهِ؛ فَالْمُرْفَقُ خَارِجٌ عَنِ الْغَسْلِ⁽¹⁾.

دلالات التعبير بحرف الانتهاء ﴿إِلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمُرَافِقِ﴾:

اعتبار دخول
(إلى) في الحكم
وخرُوجها منه
أمرٌ يدورُ مع
الدليل

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمُرَافِقِ﴾، ذهب الجمهورُ إلى دُخُولِ الْمُرْفَقَيْنِ فِي الْمَغْسُولِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿إِلَى﴾ بِمَعْنَى (مَعَ)⁽²⁾، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52]، وَقِيلَ: إِنَّمَا تُفِيدُ مَعْنَى الْغَايَةِ مُطْلَقًا، وَأَمَّا دُخُولُهَا فِي الْحُكْمِ، أَوْ خُرُوجُهَا مِنْهُ؛ فَلَا دَلَالَهَ لَهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَدُورُ عَلَى الدَّلِيلِ الْخَارِجِيِّ، كَمَا فِي: (حَفِظْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَظَرْتُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280]، فَإِنَّ الدُّخُولَ فِي الْأَوَّلِ وَالْخُرُوجَ فِي الثَّانِي مُتَيَقِّنٌ، بِنَاءً عَلَى تَحَقُّقِ الدَّلِيلِ، وَحَيْثُ لَمْ يَتَحَقَّقْ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ، وَكَانَتِ الْأَيْدِي مُتَنَاوِلَةً لِلْمُرَافِقِ؛ حُكِمَ بِدُخُولِهَا فِيهَا احْتِيَاظًا، وَقِيلَ: (إِلَى) مِنْ حَيْثُ إِفَادَتُهَا لِلْغَايَةِ تَقْتَضِي خُرُوجِهَا، لَكِنْ لَمَّا لَمْ تَتَمَيَّزِ الْغَايَةُ هَهُنَا عَنْ ذِي الْغَايَةِ؛ وَجَبَ إِدْخَالُهَا احْتِيَاظًا⁽³⁾، وَمَعْنَى آخَرَ لِلتَّعْبِيرِ بِحَرْفِ الْإِنْتِهَاءِ ﴿إِلَى﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمُرَافِقِ﴾:

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/423.

(2) نلاحظ: "أَنَّ الْكَعْبَيْنِ دَاخِلَانِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ فِي وَجُوبِ الْغَسْلِ، قَالُوا: لَأَنَّ: (إِلَى) هُنَا بِمَعْنَى: (مَعَ)، وَلَئِنْ بَعْضُ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ سَبِيحُوهُ، قَدْ قَرَّرُوا أَنَّ مَا بَعْدَ إِلَى إِذَا كَانَ مِنْ نَوْعٍ مَا قَبْلُهَا، دَخَلَ فِي الْحَدِّ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ نَوْعِهِ لَمْ يَدْخُلْ، وَهُنَا مَا بَعْدَ إِلَى مِنْ نَوْعٍ مَا قَبْلُهَا، فَوَجِبَ دُخُولُهُ فِي الْحَدِّ، وَلَئِنْ جَعَلَ مَا قَبْلَ الْمُرْفَقَيْنِ حَدًّا، لَا يَصِلُحُ أَنْ يَكُونَ عَلَامَةً وَاضِحَةً عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْ شَأْنِ الْعَلَامَاتِ أَنْ تَكُونَ وَاضِحَةً، وَهَذَا لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِغَسْلِ الْمُرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ، وَفَضْلًا عَنْ كُلِّ ذَلِكَ، فَالْمَعْرُوفُ مِنْ وَضْعِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَغْسِلُ الْمُرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ، قَالَ الْفَرُطِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لَمَّا رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ جَابِرٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ، أَدَارَ الْمَاءَ عَلَى مِرْفَقَيْهِ". ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/60.

(3) النَّسْفِيُّ، مدارك التنزيل: 1/272، وَأَبُو السُّعُودِ، إرشاد العقل السليم: 2/10.

هو الإشارة إلى اتصال العُصوين: اليدِ والمِرْفَقِ، وأنَّهما بمنزلة جُزءٍ واحدٍ في وجوبِ غَسْلِهِما، وشُمُولِ الغُسلِ لهُما⁽¹⁾.

تَعَدُّ آراءُ الفقهاءِ وأهلِ اللُّغةِ في دلالةِ الباءِ في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ من المواضع التي التبسَتْ فيها دلالتها على اللُّغويين والفقهاءِ، واختلفوا في معناها بناءً على الحُكم الشرعيّ في الآية الكريمة بالمسحِ على الرُّؤوسِ، فاللُّغويون يرون أنَّ الباءَ هنا لم تنفكْ عن دلالتها على أصلِ معناها، وهو الإلصاقُ، واختاره ابن هشام والزَّمَخشرِيُّ، ووافقهم من الفقهاء مَنْ يُفتي بوجوبِ المسحِ على جميعِ الرُّأسِ، وفي قول بعضهم: إنَّها زائدة، وهو رأي ابنِ جنيٍّ؛ لأنَّ الفعل ﴿وَأَمْسَحُوا﴾ يتعدَّى إلى مجروره بنفسه⁽²⁾، وبه قال أبو البقاء العكبريُّ، وأنكر ما سوى ذلك، وقال شهاب الدِّين القرافيُّ: "إذا قلت: مسحت بالمنديل، وكتبت بالقلم، وطفيت بالبيت؛ فمن المعلوم أنَّك ما مسحت بكلِّ المنديل، ولا كتبت بكلِّ القلم، ولا طفيت بكلِّ البيت، علوًّا وسفلاً، وظهراً وبطناً، وإنَّما مسحت ببعضِ ذا، وكتبت ببعضِ ذا، وطفيت بظاهرِ ذا"⁽³⁾، "وقد أخذ مالك وأحمد بالاحتياط، فأوجبوا الاستيعاب، وأخذ الشَّافعيُّ باليقين، فأوجب أقلَّ ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ وهو ما روي أنَّه مسح على ناصيته، وقدَّر النَّاصِيَةَ بربعِ الرُّأسِ"⁽⁴⁾، ومن حيث الاستدلال اللُّغويُّ، فقد رَأَى الشَّافعيُّ والحنفيُّ: أنَّها للتَّبْيِيعِ، والمعنى: وامسحوا بعضَ رؤوسكم، والمالكيُّ يرون أنَّها - الباء -

=اختلافُ
الفقهاءِ في قَدْرِ
المَسحِ في
الرُّأسِ، وعلاقته
بمدلولِ الباءِ

(1) أمَّا القولُ بأنَّ حروفَ المعاني ينوبُ بعضها عن بَعْضٍ، فقد نَبَّه الرَّجَّاجُ إلى خَطَأِ هذا بقوله: "فهذا لا يجوزُ أن يقال: إنَّ بعضَ الحروفِ من المعاني بمعنى الآخر، لكنَّ الخَزْفَنِيَّ قد يتقاربان، فيظنُّ الضَّعِيفُ العِلْمُ باللُّغة، بأنَّ معناهما واحدٌ، وليس كذلك"، ينظر: الرَّجَّاجُ، معاني القرآن: 2/132.

(2) عبد الحَيِّ حسن، من حروف المعاني، ص: 41.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/418.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/418.

زائدة؛ لتقوية تعلّق العامل بالمعمول، والتركيب يدلّ على مسح كلّ الرأس، والبعض داخل فيه، فلأخذ بالأحوط يجب مسح الكلّ⁽¹⁾.

بيان قول الآمدي بأنّ التبويض هنا، مجاز مرسل، بإطلاق الكلّ وإرادة الجزء:

نقل الآمدي أنّ التبويض المفهوم ليس حقيقة، وإنّما هو مجاز مرسل، حيث أطلق الكلّ (الرأس)، وأريد الجزء (بعضه)، وأنّ التبويض ليس من دلالة الباء، وهذا ما صرح به المالقي بقوله: "والصحيح أنّ الباء في ذلك كله للإصاق.... وإنّما التبويض الذي يمكن في التمثيل في الآية على المجاز، لا أصل للباء فيه، فهو مثل قولك: ضربت زيداً، وأنت تريد بعضه بإطلاق اللفظ مجازاً"⁽²⁾، والظاهر أنّ التبويض ليس من دلالة الباء، وأنّ السرّ في العدول عن تعدية الفعل بنفسه إلى تعدية الفعل بالباء **﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾**؛ "لأنّ المسح لا بدّ فيه من إصاق اليد بالممسوح ومباشرته، بخلاف الغسل الذي يتحقّق بصبّ الماء على العضو، ولو لم يباشره العضو الغاسل، وأوضح دليل على ذلك أنّ الوجه واليدين عُدّي إليهما فعل الغسل بنفسه في الوضوء، وعُدّي إليهما فعل المسح بالباء في التيمم، كما كان في الممسوحات، قال تعالى: **﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾**، فالباء إذا جيء بها؛ للدلالة على مباشرة المسح باليد للرأس وإصاقه بها، وليس التبويض من دلالتها"⁽³⁾.

القراءات الواردة في قوله: **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾**، وأثرها في المعنى والأحكام:

وردت في **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾** ثلاث قراءات: الأولى: قراءة الرفع، وهي قراءة شاذة، قرأ بها الحسن، والمعنى: وأرجلكم مغسولة⁽⁴⁾، والثانية: قراءة النصب بالعطف على **﴿وُجُوْهُكُمْ﴾**، وهي قراءة

سرّ العدول عن
تعدية الفعل
بنفسه إلى
تعدية الفعل
بالباء

تعدّد الدلالات
وتنوّع المعاني
نتائج تعدّد
القراءات
القرآنية

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/325.

(2) اللاليقي، زحف اللباني، ص: 224.

(3) الخضري، من أسرار حروف الجرّ، ص: 196.

(4) الكازروني، حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي: 1/139.

متواترة، قرأ بها نافع، وابن عامر، وعاصم، ولا إشكال في هذه القراءة المتواترة؛ لأنَّ (الأرجل) فيها معطوفة على (الوجوه)، والمعنى بناءً عليها: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم، وأنما أفتح مسح الرأس بين المغسولات؛ ليأخذ درجة المغسولات في الأهمية والعناية، حتى لا يتهاون به أحد، أو يلتمس له وجهًا ما، كمن يمسح على العمامة متعللاً بالمشقة، ولا يخفى أيضاً ما في دلالة تقديم مسح الرأس على أهمية الترتيب، والثالثة: قراءة الجر على المجاورة، أي: لمجاورتها المجرور، وهو قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، وهي قراءة ابن كثير، وحمزة، وعاصم، وأبي عمرو، فالخفض في قراءة ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾: إنما هي لمجاورة المخفوض، مع أنها منصوبة بدليل قراءة النصب⁽¹⁾، وعلى هذه القراءة؛ يكون في الآية إجمال، وقد يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين في الوضوء كالرأس، وهو خلاف المشهور والمروي من الأحاديث النبوية الصريحة والصحيحة، في وجوب غسل الرجلين في الوضوء، والتوعد بالنار لمن ترك هذا⁽²⁾.

دلالة اشتراك المتعاطفين في الوصف في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾:

قيل: إنه إنما خفض، لاشتراك الغسل والمسح في باب الوضوء، فكأنه قال: (وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم)، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٦٠﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

تقدير عطف
الغسل
على المسح
لاشتراكهما في
باب الوضوء

(1) العرب تخفض الكلمة لمجاورتها للخفوض: (المجرور) مع أن إعرابها النصب، والرفع، ومن شواهد قول امرئ القيس:

كَأَنَّ نُبَيْرًا فِي عِرَانِينَ وَذَقِيَّةٍ * كَبِيرٌ أَنَاسٍ فِي يَجَادٍ مُّرْمَلٍ

يجر: (مُرْمَلٍ) بالمجاورة للمجرور: (يجادٍ)، مع أنها نعت: (كبير) الرفع خبراً لكأن، ومنه قول ذي الرمة:

ثُرَيْكُ سِنَّةٌ وَجْهٌ غَيْرُ مُفْرِقَةٍ * * * مَلْسَاءُ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا تَذَبُ

يجر: (غَيْرِ) لمجاورة المجرور بالإضافة: (سِنَّةٌ)، مع أن: (غَيْرِ) نعت منصوب ل: (سِنَّة) النصبية بفعل يتعدى لمفعولين، وإعراب بالمجاورة له شواهد كثيرة في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٦١﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكْنُونِ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 22 - 23]، على قراءة حمزة والكسائي،

ينظر: السَّنْقِيطِي، أضواء البيان: 2/6 - 7.

(2) السَّنْقِيطِي، أضواء البيان: 2/6 - 7.

﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَلَكِهِم مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحِمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ [الواقعة: 17 - 22]، فعطف الحور العين على الفاكهة التي يطاف بها، وهو ممّا لا يطافُ به، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في التَّعَمُّ بهما، ومن ذلك قول الشاعر:

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ قَدْ عَدَا *** مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

عطف الرُّمَح على السَّيْف، وليس الرُّمَح ممّا يتقلَّد به، ولكن عطفه عليه، لاشتراكهما في الحمل، وفي أنَّهما سلاح... وتقدير ما ذكرنا - عند النحويين - على حذف فعل فيه (كله) على قدر معانيه، كأنه قال: (وحاملاً رُمَحًا)، ونحو ذلك من التَّقْدِير⁽¹⁾، وتُسِيرُ قراءةُ الخفض إلى أنه ينبغي الاقتصادُ في صَبِّ الماء على الأرجل، وغسلها غُسلًا قريبًا من المسح، وفي الفصل بين غسل الرجلين وبين أخواته إيماءٌ إلى أفضلية الترتيب⁽²⁾، والترتيب ليس مستفادًا من العطف بالواو؛ لأنها لمطلق الجمع، ولكن من ترتيب هذه الأشياء في الذكر كما جاءت به الآيةُ الكريمةُ، والجُرُّ بالجوار يكون في النَّعْت قليلًا، وفي التَّوكِيد نادرًا، ولا يكون في عطف النَّسَق إلا لحكمة واضحة؛ لأنَّ العاطف يمنع من التَّجَاوُر⁽³⁾، قال الزَّمَخْشَرِيُّ: "الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المفسولة، تغسل بصبِّ الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح، لا لتمسح، ولكن لئبَّه على وجوب الاقتصاد في صَبِّ الماء عليها، وقيل: ﴿إِلَى الْكُعْبَيْنِ﴾، فجاء بالغاية إمطة لظنِّ ظانٍّ، يحسبها ممسوحة؛ لأنَّ المسح لم تضرب له غاية في الشريعة"⁽⁴⁾.

تخريج قوله: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ على أنها مجرورة بحرف جرٍّ مقدَّرٍ دلَّ عليه المعنى:

نذكر أنَّه من التَّخْرِيجَات الواردة عند اللُّغَوِيِّين تخريج قوله: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ على أنها مجرورة بحرف جرٍّ مقدَّرٍ، دلَّ عليه المعنى، ويتعلَّق هذا الحرفُ بفعلٍ محذوفٍ أيضًا يليق بالمحلِّ، قالوا: وتقديره: (وافعلوا بأرجلكم غُسلًا)، قال أبو البقاء: وحذِفَ حرفُ الجرِّ وإبقاء الجرِّ جائزٌ، كقوله:

التَّخْرِيجَات
اللُّغَوِيَّةُ مَوْغَلَةٌ
في التَّقْدِيرِ،
وتؤكد سعة
الاستنباط من
التَّعْبِيرِ

(1) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 3/1616.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/11.

(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 3/28.

(4) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكُشَاف: 1/611.

مَشَائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً** وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بَيِّنٌ غُرَابُهَا
فَجَرَّ بِتَقْدِيرِ الْبَاءِ، وليس بموضع ضرورةٍ، والتقدير فيما يسمونه
جراً على التَّوَهُّمِ، قولنا: (لَيْسُوا بِمُصْلِحِينَ)، يعني: كأنه توهم وجود
الباء زائدة في خبر (ليس)؛ لأنها يكثر زيادتها، واستدلوا عليه بقوله
تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النفاقون: 10]، بجزم ﴿وَأَكُنْ﴾
عطفًا على ﴿فَأَصْدَقَ﴾ على توهم سقوط الفاء من ﴿فَأَصْدَقَ﴾، وقد
نَصَّ عليه سيبويه وغيره، وهذا التَّخْرِيجُ فيه تكلف ونأى عن المفهوم
من ظاهر السِّيَاق، وقد أشار إلى ذلك صاحب الدرر المصون⁽¹⁾.

الاستغناء عن جمع الكثرة بجمع القلة في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾:

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، استغنى فيه بجمع القلة عن جمع الكثرة؛
لأنه بناء يستغنى فيه بالأوّل عن الثّاني، وضِعًا واستعمالًا؛ اتكالا على
القرينة، وهو ما لخصه الشَّاطِبِيُّ بقوله: "وحقيقة الوضع أن تكون
العرب لم تضع أحد البنائين؛ استغناء عنه بالآخر، والاستعمال أن
تكون وضعتهما معًا، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن أحدهما
بالآخر، فالأوّل: كأرجل جمع رجل، وأعناق جمع عنق، وأفئدة
جمع فؤاد، قال تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ﴾، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءً﴾، فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء
الكثرة؛ لأنها لم يوضع لها بناء كثرة، والثّاني: كأقلام"⁽²⁾.

دلالة قراءتي: ﴿فَاطَّهَرُوا﴾ بالتخفيف، وقراءة ﴿فَاطَّهَرُوا﴾ بالتشديد:

كما قرئ ﴿فَاطَّهَرُوا﴾، شاذًّا: (فاطَّهَرُوا)، أي: فَطَّهَرُوا أَبْدَانَكُمْ،
وفائدة القراءتين: أن قراءة التشديد ﴿فَاطَّهَرُوا﴾؛ للدلالة على
الاجتسال بالماء مع التشديد في صب الماء، على كل جزء في الجسد،

يشترك
الجمعان
في الدلالة
على الجمع،
ويفترقان في
توصيف الكثرة
والقلة

الوضوء طهارة
حسّية ومعنوية
أصلية، والتيمم
طهارة معنوية
بديلة

(1) السمين، الدرر المصون: 4/216.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/421.

وقراءة التَّخْفِيف (فَاطْهَرُوا)؛ للدَّلالة على التَّيَمُّمِ عند عدم وجود الماء، أو عند وجوده مع العذر الذي يمنع من الاغتسال بالماء، "وفي تعليق الأمر بالطَّهارة الكبرى بالحدِّث الأكبر، إشارة إلى اشتراط الأمر بالطَّهارة الصَّغرى بالحدِّث الأصغر"⁽¹⁾.

دلالة تعليق الشرط بالأداة «وإن» في قوله: «وإن كنتم جنباً» «وإن كنتم مَرَضَى»:

التَّطَهَّرَ مِنَ
الْجَنَابَةِ شَرْطٌ
لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ،
وَسَرُّ الْحَثِّ
عَلَى الْغُسْلِ أَوْ
التَّيَمُّمِ

التَّعبيرُ بأداة الشرط «وإن» المفيدة معنى: الشَّكِّ، إشارة إلى استحباب المبادرة إلى الغُسل من الجَنَابَةِ؛ إذا وَقَعَ، والْحَثُّ على ذلك، وكأنَّ بقاءَ المُسَلِّمِ جُنُبًا أمرٌ نادرٌ؛ ليبقى نظيفًا حَسَنًا ومعنويًا، ظاهرًا وباطنًا، وللإشارة إلى أنَّ حالة الجَنَابَةِ عارضةٌ وليستْ غالبيةً، أمَّا تعليقُ الشرطِ الثاني: «وإن كنتم مَرَضَى» بأداة الشَّكِّ؛ فللإشارة إلى أنَّ حالة المرضِ عارضةٌ، وهذا من فضل الله على عباده: أنَّ الرِّخَاءَ بالعافية والصَّحَّةَ أكثرُ من المرضِ والسُّقَمِ في غالب حال الأُمَّة⁽²⁾.

إشارة السياق إلى أنَّ المرض بذاته مُسَوِّغٌ للتَّيَمُّمِ، وإن كان الماء موجودًا:

الوضوء طهارة
مؤصَّلة،
والتَّيَمُّمُ رخصة
مؤقتة

في قوله تعالى: «وإن كنتم مَرَضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا»، تتضمَّن الآية إباحة التَّيَمُّمِ للمريض، من غير شرط عدم الماء، وعدم الماء إنَّما هو مشروطٌ للمسافر دون المريض، فلو كان الحكمُ جعلَ عدم الماء شرطًا في إباحة التَّيَمُّمِ للمريض؛ لَأَدَّى ذلك إلى إسقاطِ فائدة ذِكر المريض؛ لأنَّ العِلَّةَ المبيحة للتَّيَمُّمِ وجواز الصَّلَاةِ به في المريض والمسافر لو كانت عَدَمُ الماء؛ لما كان لِذِكر المريض مع عدم ذِكر

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/11.

(2) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 6/35.

الماء فائدة⁽¹⁾، وذكر الشوكاني أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْمَرْضِ، إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ؛ تَيَمَّمَ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَرْضَ بِمَجَرَّدِهِ مُسَوِّغٌ لِلتَّيَمُّمِ، وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ موجودًا؛ إِذَا كَانَ يَتَضَرَّرُ بِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْمَالِ⁽²⁾.

دلالة ﴿فَاطْهَرُوا﴾ على الحكم الشرعي، و سرُّ تعليق الشرط بأداة الشكِّ

﴿وَإِنْ﴾:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا﴾، أي: إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا بِاحْتِلَامٍ أَوْ مباشرةٍ، وَأَرَدْتُمْ الصَّلَاةَ؛ فَاغْتَسِلُوا، وَكَلِمَةُ (جُنُبٌ) مُشْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الْجَنَابَةِ، وَهِيَ مَا تَكُونُ بِسَبَبِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ جَنَابَةً؛ لِأَنَّهُ يُجَنَّبُهُمَا الصَّلَاةُ، وَلَمَّا يَكُونُ مِنَ التَّقَارُبِ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ يَكُونُ أَحَدُهُمَا بِجَنَبِ الْآخَرِ، وَفِي حُكْمِ الْجَنَابَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى الْحَيْضُ وَالنِّفَاسُ، وَيُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا﴾ إِلَى وَجوبِ التَّطَهُّرِ أَي: الْإِغْتِسَالِ، عِنْدَ الْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهَا، فَالْأَمْرُ هُنَا لِلْوَجوبِ، وَالتَّطَهُّرُ: هُوَ الْإِغْتِسَالُ، وَالْعَنَايَةُ بِصَبِّ الْمَاءِ عَلَى كُلِّ جُزْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ (فَعَلْ): ﴿فَاطْهَرُوا﴾، بِدَلَالَتِهَا عَلَى التَّكْلِيفِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْفِعْلِ، كَمَا دَلَّ التَّعْبِيرُ بِ﴿فَاطْهَرُوا﴾ عَلَى أَنَّ النَّجَاسَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ عَمَتْ كُلَّ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ، فَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ الطَّهَارَةُ عَامَّةً لِكُلِّ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ أَيْضًا⁽³⁾.

سرُّ العدول عن لفظ (مسافرين) إلى قوله: ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾:

قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أَي: مُسْتَقَرِّينَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (أَوْ مُسَافِرِينَ)؛ لِيُقَابَلَ الْجَمْعُ ﴿مَرَضَى﴾، فَيَجْرِي الْكَلَامُ عَلَى سِيَاقٍ وَاحِدٍ؛ لَوْجُودِ فَرْقٍ بَيْنَ لَفْظِي (المسافر) و﴿عَلَى سَفَرٍ﴾، فَالْمَسَافِرُ هُوَ مَنْ تَلَبَّسَ بِحَرَكَةِ السَّفَرِ،

التَّطَهُّرُ مِنَ
الْجَنَابَةِ شَرْطٌ
لِصَلَاةٍ صَالِحَةٍ،
وَسَرُّ الْحَثِّ عَلَى
الْغُسْلِ مِنْهَا

حَرْفُ الْإِسْتِعْلَاءِ
(عَلَى) فِي الْآيَةِ،
وَإِحَاوُهُ بِالْعَزْمِ
الْقَاطِعِ عَلَى
السَّفَرِ

(1) الجصاص، أحكام القرآن: 2/461.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 1/463.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2051.

وَحَرَجَ عَنْ وَصْفِ الْإِقَامَةِ وَالْحَضَرِ، أَيُّهُمَا الْمَسَافِرُ حَقِيقَةً وَوَاقِعًا،
أَمَّا ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾، فَمَعْنَى: عَلَى عَزْمِ السَّفَرِ وَقُوَّتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ لَهُ، وَإِنْ
لَمْ يَجَاوِزْ حَدُودَ الْحَضَرِ؛ لِذَا لَمْ يَقُلْ: (مَسَافِرِينَ)؛ لِيَتَنَاوَلَ مَنْ سَرَعَ
فِي السَّفَرِ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَسَافَةَ السَّفَرِ، فَإِنَّهُ يَقْصُرُ، وَيَتَيْمَّمُ، وَهَذَا مِنْ
بَابِ التَّخْفِيفِ فِي الدِّينِ وَالتَّيَسِيرِ عَلَى الْعِبَادِ.

الجمع في سياق واحد بين ما هو سبب للعزيمة، وما هو سبب للرخصة:

إِنَّ الْمَرَضَ وَالسَّفَرَ - مَعَ فَقْدِ الْمَاءِ - سَبَبَانِ مِنْ أَسْبَابِ التَّرْخِصِ
بِالتَّيْمُمِ، وَالْحَدَّثُ سَبَبٌ لُجُوبِ الْوُضُوءِ، وَالْجَنَابَةُ سَبَبٌ لُجُوبِ
الْغُسْلِ، فَجُمِعَ فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ بَيْنَ مَا هُوَ سَبَبٌ لِلرُّخْصَةِ، وَمَا هُوَ
سَبَبٌ لِلطَّهَارَةِ بِوُضُوءٍ أَوْ غُسْلٍ، وَقَدْ عَلَّلَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ هَذَا بِقَوْلِهِ:
"أَرَادَ سَبْحَانَهُ أَنْ يَرْخِصَ لِلَّذِينَ وَجِبَ عَلَيْهِمُ التَّطَهُّرُ، وَهُمْ عَادِمُونَ
الْمَاءَ فِي التَّيْمُمِ بِالتُّرَابِ، فَخَصَّ أَوَّلًا مِنْ بَيْنِهِمْ مَرْضَاهُمْ وَمَنْ هُمْ
عَلَى سَفَرٍ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي اسْتِحْقَاقِ بَيَانِ الرُّخْصَةِ لَهُمْ، بِكَثْرَةِ
الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ وَغَلَبَتِهِمَا عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِلرُّخْصَةِ، ثُمَّ
عَمَّ كُلٌّ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ التَّطَهُّرُ، وَأَعْوَزَهُ الْمَاءُ لَخَوْفِ عَدُوٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ
عَدَمِ آلَةِ اسْتِقَاءٍ، أَوْ إِرْهَاقٍ فِي مَكَانٍ لَا مَاءَ فِيهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا لَا
يَكْثُرُ كَثَرَةُ الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ⁽¹⁾.

حرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في الآية، وإيحائه بالعزم على السفر:

النُّكْتَةُ فِي إِثَارِ حَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ ﴿عَلَى﴾ عَلَى حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ (فِي)
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، هِيَ أَنَّ حَرْفَ الاسْتِعْلَاءِ، يُوجِي بِالْعَزْمِ
عَلَى السَّفَرِ، وَعَقْدِ النِّيَّةِ عَلَيْهِ، حَتَّى بَاتَ وَاقِعًا، وَهَذَا كَافٍ فِي نَيْلِ
رُخْصَةِ التَّيْمُمِ بِشَرْطِهِ، وَهُوَ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَقَامِ التَّيَسِيرِ فِي الْآيَةِ
الْكَرِيمَةِ، وَلَوْ قِيلَ: (فِي سَفَرٍ)؛ لِأَشْعَرِ بَتَوْقُفِ اسْتِحْقَاقِ التَّرْخِصِ عَلَى
التَّوَعُّلِ فِي السَّفَرِ، وَقَطَعَ الْمَسَافَاتِ فِيهِ، وَهَذَا لَا يَتَلَاءَمُ وَالْمَقَامَ.

الخلوص من
تخصيص
المريض والمسافر
إلى كَلٍّ من لهُ
عذرٌ مشابه

الظرفية
محدودة
بأوانها،
والاستعلاء
منفسح
للقصد والفعل
والواصله

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَّافُ: 1/270 - 271.

علة الكناية عن قضاء الحاجة في قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَم مِّنَ الْغَائِطِ﴾:

وفي قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ كناية عن صفة، هي قضاء الحاجة، وأصل الغائط: المكان المنخفض الذي يأوي إليه من يقضي حاجته؛ لأنه يستتره، ثم صار بحسب العرف كناية عن قضاء الحاجة، وفي إثارة هذه الكناية إشارة مهمة إلى ضرورة الاستتار، عند قضاء الحاجة، بعيداً عن عيون الناس، فلا يظهر بعد قضاء حاجته إلا وهو في تمام إسداله وستره، وهذا ما يدل عليه قوله: ﴿أَوْ جَاءَ﴾، أي: بعد الانتهاء التام، والستر التام، والكناية تأتي بالمعنى مصحوباً بالدليل، مما يؤدي إلى تأكيد إثبات المعنى، وهذا من أسرار بلاغتها، ولم يُصرح بالمعنى الحقيقي تنزهًا عن التصريح بها؛ لأنها من النقائص المذكرة للإنسان بشديد عجزه، وعظيم ضرورته، وفقره؛ ليكف عن إعجابه وتكبره وترفعه وفجوره، كما ورد أن بعض الأمراء لقي بعض البله في طريق، فلم يسخ له، فغضب، وقال: كأنك ما تعرفني؟ فقال: بلى، والله إنني لأعرفك، أولئك نطفة مَذَرَّة، وآخرك جيفة قَذَرَّة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة⁽¹⁾.

علة صرف إسناد الفعل الخادش إلى المخاطبين بإسناده إلى ﴿أَحَدٌ﴾

غير معين:

ومما يلحظ تحاشي النظم الكريم إسناد المجيء من الغائط، أي: الحدث ببول أو غائط، إلى المخاطبين مباشرة في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَم مِّنَ الْغَائِطِ﴾، فلم يقل: (أو جئتم من الغائط)، بل أسند الفعل إلى واحد منهم مبهم لغرض تعليمي، هو ما يؤدي إليه الخطاب من خدش للحياء، فلو قال: (أو جئتم من الغائط)؛ لكان الخطاب فجاً غير مستساغ، وحاشا أن يكون القرآن كذلك.

**دلالة تجنب
التصريح بما
يستهجن في
الخطاب القرآني
العفيف**

**مسلك القرآن في
إثارة التوصيف
بالغيبة تفادياً
لكل فاحشة
وريبة**

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/35.

استيعاب اللفظ
لما يُجَلِّي معاني
العقَّة والسَّتر
من أدب القرآن
الرَّفيع

ورود الأداة (أو)
على أصلها؛
لتفيد الاختيار
عند الاضطرار

دلالة التَّعبير على وجوب قضاء الحاجة فُرَادَى، والعودة فُرَادَى للاستتار:

كما دلَّ التَّعبيرُ بالمفردِ في قوله: ﴿جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ على أدبٍ فِطْرِيٍّ مِنَ الآدابِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وهو وجوبُ قضاءِ الحاجةِ فُرَادَى، والعودةِ فُرَادَى للاستتار، ولعلَّ هذا يتوافقُ مع مدلول كلمة الغائط، فهي الأرضُ المنخفضةُ الَّتِي تَسْتُرُ مَنْ يَنْزِلُ فِيهَا، وهذا دليل على شفافية اللفظ، واستيعابه للمدلول الَّذِي أَجْلَى معاني العقَّة والسَّتر، ممَّا يدلُّ على رقاء الأسلوب ودقَّته ورقَّته.

دلالة الحرف (أو) في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَم مِّنَ الْغَائِطِ﴾:

للأداة ﴿أو﴾ هنا تأويلان: أحدهما: أن تكونَ للتفصيل والتَّنويع على بابها، والآخر: أنَّها بمعنى: الواو، فعلى القولِ بأنَّها على بابها؛ يكونُ قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر، وإلى مَنْ جاء مِنَ الغائط، وإلى مَنْ لامَسَ، سواءً كانا مريضين أو مسافرين، فيقتضي ذلك جوازَ التَّيمُّمِ للحاضرِ الصَّحيح؛ إذا عَدِمَ الماءَ، وهو مذهبُ مالِكٍ والشافعيِّ، فيكونُ في الآية حَجَّةٌ لهما، وعلى القولِ بأنَّها بمعنى الواو؛ يكونُ قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر، فيقتضي ذلك أنَّه لا يجوزُ التَّيمُّمُ إلَّا في المرض والسَّفر مع عَدَمِ الماءِ، وأنَّه لا يجوزُ للحاضرِ الصَّحيح؛ إذا عَدِمَ الماءَ، ولكنَّ يُؤخَذُ جوازُ التَّيمُّمِ له من دليلٍ آخر، والرَّاجحُ أنَّ ﴿أو﴾ على بابها؛ لَوَجْهَيْنِ: أحدهما: أنَّ جعلَها بمعنى الواو إخراجٌ لها عن أصلها، وذلك ضعيفٌ، والآخر: إن كانت على بابها؛ كان فيها فائدةٌ إباحةِ التَّيمُّمِ للحاضرِ الصَّحيح؛ إذا عَدِمَ الماءَ على ما ظهرَ لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو؛ لم تُعْطِ هذه الفائدة، وحُجَّةٌ مَنْ جَعَلَهَا بمعنى الواو: أنَّه لو جعلَها على بابها؛ لاقتضى المعنى: أنَّ المرضَ والسَّفرَ حدثٌ، يوجبُ الوضوءَ كالغائطِ، لِعَطْفِهِ عَلَيْهَا، وهذا لا يلزم؛ لأنَّ العطفَ بـ ﴿أو﴾ هنا للتَّنويع والتفصيل، ومعنى الآية: كأنَّه قال:

يجوزُ لكم التَّيْمُّ؛ إذا لم تجدوا ماءً؛ إن كنتم مرضى أو على سفر،
وأحدثتم في غير مرضٍ ولا سفر⁽¹⁾.

مَزِيَّةُ الْكِنَايَةِ وَأَثَرُهَا فِي اللَّعْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾:

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾؛ فهو كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةٍ -
أَيْضًا - وهي الوطءُ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِهَا تَنْزِيهًا عَنْ ذِكْرِ مَا يُسْتَقْبَحُ
التَّصْرِيحُ بِهِ، وفي هذه الْكِنَايَةِ إشارَةٌ إِلَى انسِجَامِ التَّعْبِيرِ مع الْحَالَةِ
الَّتِي يَصِفُهَا، فَمَا يَجِبُ سِتْرُهُ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ؛ يَجِبُ كَذَلِكَ سِتْرُهُ فِي
اللَّفْظِ، وَذَلِكَ لِإِشَاعَةِ الْحَيَاءِ التَّعْبِيرِيِّ الْمَتَّسِقِ مع الْحَيَاءِ النَّفْسِيِّ فِي
الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَإِذَا رَأَيْتَ مَجْتَمَعًا يَفْحَشُ كَلَامُهُ؛ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى
فُحْشِ أَفْعَالِهِ.

مَا يُسْتَرُّ
فِي الْوَاقِعِ
لِلْحِسُّوسِ؛
يُسْتَرُّ فِي اللَّفْظِ
الْمَأْنُوسِ

الْقِرَاءَتَانِ فِي: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ وَ﴿لَمَسْتُمُ﴾ يَتَطَلَّبُهُمَا الْغَرَضُ:

وَرَدَتْ فِي الْفِعْلِ (لَمَسَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾
قِرَاءَتَانِ، يَتَطَلَّبُهُمَا الْغَرَضُ:

الَّلَّمْسُ الْمَشْرُوعُ
بِالْيَدِ غَيْرُ نَاقِضٍ
لِلْوُضُوءِ

الْقِرَاءَةُ الْأُولَى: قِرَاءَةُ حَمْزَةِ وَالْكَسَائِيِّ: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ عَلَى وَزْنِ
(فَعَلْ)، وَالْقِرَاءَةُ الثَّانِيَّةُ: قِرَاءَةُ بَقِيَةِ السَّبْعَةِ ﴿لَمَسْتُمُ﴾ عَلَى وَزْنِ
(فَاعَلَ)، وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ لُهُمَا دَلَالَةٌ يَتَطَلَّبُهَا الْغَرَضُ، فَقِرَاءَةُ
﴿لَمَسْتُمُ﴾: تَدُلُّ عَلَى الْمَشَارَكَةِ، وَقِرَاءَةُ ﴿لَمَسْتُمُ﴾: تَدُلُّ عَلَى مَجَرَّدِ
الَّلَّمْسِ، وَإِذَا كَانَ الْغَالِبُ فِي أَلْفِ الْمَفَاعِلَةِ، أَنْ تَدُلَّ عَلَى تَحَقُّقِ قَدْرِ
مَا مِنَ الْمَشَارَكَةِ؛ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْوَطْءِ حَقِيقَةً، وَمَا وَرَدَ فِي الْبَيَانِ
النَّبَوِيِّ مِنْ اسْتِخْدَامِ لَفْظِ (الْمَسِّ) يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ اللَّمْسَ الْمَشْرُوعَ
بِالْيَدِ غَيْرُ نَاقِضٍ لِلْوُضُوءِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ فِي الْآيَةِ: اللَّمْسُ بِشَهْوَةٍ، وَأَنَّ
الْقِرَاءَتَيْنِ تَدْلَانِ عَلَى حَالَيْنِ: حَالَةِ نَقْضِ الْوُضُوءِ بِقِرَاءَةِ: ﴿لَمَسْتُمُ﴾،
وَالْجَنَابَةِ بِقِرَاءَةِ: ﴿لَمَسْتُمُ﴾، وَأَنَّهُ يُمْكِنُ حَمْلُ إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى

(1) ابْنُ جُزَيٍّ، التَّسْهِيلُ، ص: 182.

الأخرى، وَفَقًا لِمَقَامِ النَّظَرِ، ففي مقام الإحسانِ والسَّعَةِ والفَرَضِيَّةِ: تُحْمَلُ قِرَاءَةُ ﴿لَمَسْتُمْ﴾ عَلَى ﴿لَمَسْتُمْ﴾، وفي مقام الحَرَجِ والضَّيْقِ والنَّافِلَةِ: تُحْمَلُ قِرَاءَةُ ﴿لَمَسْتُمْ﴾ عَلَى الأُخْرَى⁽¹⁾، وَلَعَلَّ هَذَا يَتَكَيَّفُ فِي رَأْيِهِ عَلَى قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ: "إِنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ لَيْسَتَا كَالْآيَتَيْنِ فِي الْحُكْمِ، بَلْ يُقْرَأَنَّ عَلَى أَنْ تُقَامَ إِحْدَاهُمَا مَقَامَ الأُخْرَى، لَا عَلَى أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ أَحْكَامِهِمَا كَمَا لَا تُجْمَعُ بَيْنَ قِرَاءَتَيْهِمَا"⁽²⁾.

التَّعْبِيرُ بِالْمَجِيءِ دُونَ الْإِتْيَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾:
أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِ﴿جَاءَ﴾ عَلَى (أَتَى) فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾؛ لَتَوَافَقِ مَدْلُولُ الْمَادَّةِ مَعَ دَلَالَةِ كَلِمَةِ (الغَائِطِ)، بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ مَادَّةَ الْمَجِيءِ تَدُلُّ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْجُهْدِ، وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ ذَهَابَهُمْ إِلَى الْغَائِطِ - وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ؛ كُلَّمَا أَرَادُوا قِضَاءَ حَاجَتِهِمْ - فِيهِ مَشَقَّةٌ وَعَنَاءٌ لَهُمْ⁽³⁾؛ لِثِقَلِ الْحَرَكَةِ وَصُعُوبَتِهَا، وَلِمَشَقَّةِ تَكَرُّرِهِ يَوْمِيًّا فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَهَذَا لَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَدْلُولِ (أَتَى)؛ لِأَنَّهُ مَجِيءٌ فِيهِ يُسَرُّ وَلِينٌ.

الْكِنَايَةُ عَنْ حَدَثِ قِضَاءِ الْحَاجَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾:

يَحْتَوِي التَّرْكِيْبُ عَلَى كِنَايَةٍ عَنِ الْحَدَثِ بِالْمَجِيءِ مِنَ الْغَائِطِ، "وَهُوَ الْمَطْمَئِنُّ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ؛ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَهِيَ أَنَّ الْعَرَبِيَّ إِذَا أَرَادَ قِضَاءَ حَاجَةٍ؛ قَصَدَ مَكَانًا مُنْخَفِضًا مِنَ الْأَرْضِ، وَقَضَى حَاجَتَهُ فِيهِ"⁽⁴⁾، وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَمْلَحٌ يُوَكِّدُ ارْتِبَاطَ ذَلِكَ بِمَحَاسِنِ الْعَادَاتِ عِنْدَهُمْ، وَتَأْذِي الْمَرْءِ فِي تِلْكَ الْبَيْئَةِ، مِنْ

اختيار اللفظ
الناسب
دون
مرادفه، يؤدي
المعنى بدقة
وبلاغة

ارتباط عادات
العرب
الاجتماعية
بالبيئة المحيطة
بهم حضارة
وثائق

(1) سعد، إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز، ص: 131، 132.

(2) الجصاص، أحكام القرآن: 2/462، والفاء في ﴿لَمْ﴾ عاطفة، وأمَّا الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَتَنَبَّهُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فَوَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ السَّزُطِ، وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى جَمِيعِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ تَغْلِيْبُ الْخُطَابِ عَلَى الْغَيْبَةِ، يَنْظُرُ: الْأَوْسَى، رُوحُ الْعَانِي: 6/81.

(3) رضا، تفسير النار: 6/209.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/421.

انكشاف عورته، أو اطلاع النَّاس عليه، وهو في ذلك الوضع المحرج، وهو أمر يُنبئ عن حسّ حضاريٍّ مُرهف.

ترتيب الأعدار منطقيًا على حسب أولوية الحاجة إلى الرُّخصة الشرعية:

جاء الترتيب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تُسْمِعُوا الْمَسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، على حسب الأحوج إلى الرُّخصة، فالأحوج، فبدأ بالمرض، وقُدِّم على السفر؛ للإيدان بعراقته، وانفاده بأحكام لا توجد في عُذر آخر من الأعدار المبيحة للتيمم، والمذكورة في الآية الكريمة⁽¹⁾، وأردف المرض بالسفر، سواء كان السفر طويلاً أم قصيراً، ثم بالمجيء من الغائط، ولو كان حاضراً صحيحاً، ثم جاء قوله: ﴿أَوْ لَمْ تُسْمِعُوا الْمَسَاءَ﴾ تكميلاً لما سبق، وقد أخرج هذا العذر؛ لأنه ممّا منه بُدُّ، ولا يتكرّر تكرّر قضاء الحاجة⁽²⁾، فجعل آخر الأعدار، مراعاة لمقتضى الحال، وضرورة الاحتياج.

لكلّ عذر موجب
للرُّخصة أسباب
عقلانية فصيحة
ومقنعة

دلالة وصف الصَّعيد بالطَّيب في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾:

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فالصَّعيد: وجه الأرض، وسَمِّيَ بذلك؛ لأنَّه نهاية ما يُصعد إليه من باطن الأرض، أو لصعوده وارتفاعه فوق الأرض، والطَّيب: الطاهر، والمعنى: فتعمدوا واقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً،

حمل الصَّعيد
الطَّيب على وجه
الأرض وترابها
عموماً؛ رعاية
لقاعدة الاحتياط

فهنا أمر بإيقاع التيمم بالصَّعيد الطَّيب، "والصَّعيد الطَّيب: هو الأرض التي لا سبخة فيها، ولا شك أن التيمم بهذا التراب جائز بالإجماع، فوجب حمل الصَّعيد الطَّيب عليه؛ رعاية لقاعدة الاحتياط، لا سيما وقد خصَّ النبي - ﷺ - التراب بهذه الصفة،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/180.

(2) الإقاعي، نظم الدرر: 6/34.

فَقَالَ: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا»⁽¹⁾، وَقَالَ: «التُّرَابُ طَهُورٌ مُسْلِمٌ؛ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ»⁽²⁾، وَهَذِهِ عِبَادَةٌ خَاصَّةٌ بِنَا نَحْنُ أَتْبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الباءُ للإصاق؛ للدلالة على استيعاب الوجه واليدين بالمسح:

التَّيَمُّمُ طَهَارَةٌ
تَرَابِيَّةٌ بِدِيلَةٍ
تَمَيَّزُ الْإِسْلَامِ
وَتَعَكُّسُ يَسَرِهِ
وَبَسَاطَتِهِ

وَعُدِّي فِعْلُ الْمَسْحِ بِالْبَاءِ دُونَ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾؛ لِأَنَّ الْمَسْحَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْإِصَاقِ الْيَدِ بِالْمَسْوُوحِ، وَمُبَاشَرَتِهِ فِي التَّيَمُّمِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْمَسْحِ بِالْيَدِ لِلْوَجْهِ وَالْإِصَاقِ بِهَا، وَهَذَا مَعْنَى الْإِصَاقِ الَّذِي لَا يَنْفَكُ عَنِ الْبَاءِ؛ لِذَا كَانَ تَعْدِيَةُ الْفِعْلِ بِالْبَاءِ دُونَ (عَلَى)، وَلَمَّا كَانَ التُّرَابُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ جَمِيعِ الْعُضْوِ - وَإِنْ اجْتَهَدَ الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ - أَدْخَلَ الْبَاءَ قَاصِرًا لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾، وَالْمُرَادُ اسْتِيعَابُ هَذَيْنِ الْعُضْوَيْنِ بِالْمَسْحِ، حَتَّى إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُمَا لَمْ يَجْزِئ.

تَعَلُّقُ الْأَمْرِ بِالرُّخْصَةِ بِالتَّيَمُّمِ بِالْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ:

الْغَايَةُ مِنْ
رُخْصَةِ التَّيَمُّمِ
رَفْعُ الْإِعْنَاتِ،
وَاسْتِدَامَةُ
الْوَصْلِ بِاللَّهِ فِي
كُلِّ الْحَالَاتِ

يُلَاحَظُ أَنَّهُ أَدْخَلَ فِي حُكْمِ الشَّرْطِ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ، وَهَم: الْمَرَضَى، وَالْمَسَافِرُونَ، وَالْمُحْدِثُونَ، وَأَهْلُ الْجَنَابَةِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ الْجَزَاءُ الَّذِي هُوَ الْأَمْرُ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ بِهِمْ جَمِيعًا، وَأَنَّ الْمَرَضَى إِذَا عَدِمُوا الْمَاءَ لَضَعْفِ حَرَكَتِهِمْ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ؛ فَلَهُمْ أَنْ يَتَيَمَّمُوا، وَكَذَلِكَ السَّفَرُ إِذَا عَدِمُوهُ لِبُعْدِهِ، وَالْمُحْدِثُونَ وَأَهْلُ الْجَنَابَةِ كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَجِدُوهُ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ⁽³⁾، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّهَارَةَ بِالْمَاءِ أَوْ التُّرَابِ الطَّاهِرِ؛ لِيُرْزَلَ الْحَرَجُ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً، أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ لِعِلَّةٍ، أَوْ لَشِدَّةِ احتياجه إليه، سَيَقُوعُ فِي حَرَجٍ قَطْعًا؛ لِأَنَّهُ

(1) رواه بهذا اللَّفْظُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ، الْحَدِيثُ رَقْم: (418).

(2) الرَّازِيُّ، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 11/168.

(3) الرَّمُخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/272.

يريدُ أن يُصَلِّيَ، ولا يجدُ وسيلةً للطَّهارة، ولا يريدُ الله أن يُعْنِتَ عباده، ولا أن يُوقَعَهُم في الحَرَجِ بل خَفَّفَ عليهم، وجعلَ التُّرابَ بديلاً للماء.

التَّيَمُّمُ البديلُ عن الماء، طهارةٌ معنويَّةٌ، وليس تنظيماً حسيّاً:

ليس المقصودُ بالطَّهارة بالتَّيَمُّمِ التَّنْظِيفُ؛ لأنَّ معنى الطَّهارةِ لو اقتصرَ على التَّنْظِيفِ؛ لكانتِ الطَّهارةُ بالماء فقط، ولماذا إذاً نمسحُ وجوهنا بالتُّراب؟ إنَّ هذا يوضِّحُ أنَّ الطَّهارةَ غيرُ النِّظَافَةِ، والله يطلبُ التَّطْهِيرَ، والتَّطْهِيرُ يكونُ بِشَرْطِ مَنْ تَدْخُلُ عَلَيْهِ، وتقفُ بين يديه، وهو الله تعالى، وقد شَرَعَ الله لذلك أمرين: إمَّا بالماء، وهو الأصلُ، وإمَّا بالتَّيَمُّمِ بالتُّرابِ، فالطَّهارةُ تجعلُ المرءَ صالحاً؛ ليقفَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ، كما شَرَعَ هو سبحانه⁽¹⁾.

دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ للوجوب، وللتذكير بنعمةِ الله تعالى على عباده بالرُّخْصَةِ في التَّيَمُّمِ، والتَّوسُّعَةِ على الأُمَّةِ به، وأنَّ حُكْمَهُ باقٍ عند أمنهم وسعتهم؛ كراهة أن يتوهَّموا أنَّ رخصة التَّيَمُّمِ كانت عند خوفهم وقِلَّتِهِمْ، وضيق الأرض عليهم، لظهور الكفَّار وغلبتهم، كما كان زواجُ المتعة يُباح لهم تارةً، ويُمْنَعُ أخرى نظراً إلى الحاجة وفقدانها، حتَّى ثبت منعه مطلقاً، وفي التَّكرير - أيضاً - إشارةٌ إلى أنَّ ذلك من خصائص الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ⁽²⁾.

سِرُّ حَذْفِ الجارِّ والمجرور ﴿مِنْهُ﴾ من آية النساء، وإثباته في آية المائدة:

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: 43]، وقال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: 6]، والسؤال: ما سِرُّ حَذْفِ

التَّيَمُّمُ طهارة
لله بأمره، وهي
مرتبطة بالأرض،
محلة للفرض

أحكام الله
تيسيراً على أُمَّة
الإسلام في
اليسر، وتفريج
عليها في العسر

(1) الشَّعْرَاوِي، خواطر الشَّعْرَاوِي: 2961/5.

(2) البِقَاعِي، نَظْمُ الدُّرَرِ: 34/6.

الجار والمجرور ﴿مِنَّهُ﴾ من آية النساء، وإثباته في آية المائدة؟ الجواب: بتأمل المقام في الآيتين الكريمتين نجد أن آية النساء فيها ذِكْرٌ لِبَعْضِ أَحْكَامِ الْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ دون تفصيل؛ لذا حُسِّنَ حذفُ الجار والمجرور ﴿مِنَّهُ﴾، في حين أن آية المائدة فيها تفصيل وبيان لأحكام الوضوء⁽¹⁾؛ لذا أُثْبِتَ الجار والمجرور ﴿مِنَّهُ﴾؛ للزيادة في البيان، وإلى هذا السِّرُّ أشار الكِرْمَانِيُّ بقوله: "وزاد في المائدة ﴿مِنَّهُ﴾؛ لأنَّ المذكورَ في هذه - يعني: سورة النساء - بَعْضُ أَحْكَامِ الْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ، فَحُسِّنَ الحذفُ، والمذكورُ في المائدة جميعُ أحكامها؛ فَحُسِّنَ الإثباتُ والبيان"⁽²⁾، ثم إنَّ الجار والمجرور ﴿مِنَّهُ﴾، يشيرُ إلى التأكيد على أن يكون التَّيَمُّمُ مِنَ الصَّعِيدِ الطَّيِّبِ ذَاتِهِ، فحذفه من آية النساء التي نزلت قبل المائدة، يشيرُ إلى أنه ربَّما وقعَ نوعٌ مِنَ التَّقْصِيرِ أَوْ التَّسَامُحِ في كيفية التَّيَمُّمِ، أو في الاكتفاء بغير التُّرابِ، دون التُّرابِ ذَاتِهِ، ونحو ذلك، ممَّا قد يقعُ مع بداية تشريع الصلاة، كما يدلُّ صدرُ آية النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: 43]، فلَمَّا نزلتِ المائدة؛ زيدَ فيها الجار والمجرور ﴿مِنَّهُ﴾ في قوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾⁽³⁾؛ للتأكيد على أن يكون المسحُ مِنَ الصَّعِيدِ الطَّيِّبِ ذَاتِهِ، وهذا على ترجيحِ عَوْدِ الضَّمِيرِ فِي ﴿مِنَّهُ﴾ لِلصَّعِيدِ الطَّيِّبِ.

الدَّلالة على العموم بلامِ الجُحودِ والتَّنْكِيرِ، وحذفُ موضوعِ الحَرَجِ:

قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾، تعليلٌ لِرخصةِ التَّيَمُّمِ، وهذا الكلامُ يفيدُ النفيَ المؤكَّدَ بأنَّه ليس في الدينِ مِنْ حَرَجٍ، أي: ضيقٍ ومَشَقَّةٍ وَعَنْتٍ، وفي نفيِ الإرادة: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تأكيدٌ للنفي، وقد دَلَّ تنكيرُ ﴿حَرَجٍ﴾، وحذفُ موضوعه: على عُمومِهِ، وكأنَّه قيل: ما يريد الله عليكم، أي مَشَقَّةٍ أَوْ ضِيقٍ، وتأكَّدَ النفيُّ بلامِ الجحودِ ﴿لِيَجْعَلَ﴾، والمعنى: ما كان في أمرِ الله أن يجعلَ عليكم في

نفي الحرج
قاعدة من قواعد
الشريعة،
وأصل من أعظم
الأصول

(1) يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ فَاظْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَمْسَسْهُ النِّسَاءُ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ لِبَيِّنَةٍ وَعَظَمَ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ فَتَشْكُرُونَ

﴿المائدة: 6﴾.

(2) الكِرْمَانِيُّ، البُرْهَانُ فِي تَوْجِيهِهِ مُتَشَابِهَةِ الْقُرْآنِ، ص: 55.

(3) الزَّرْكَشِيُّ، البرهان: 1/194.

دينه من حرج؛ لذا شرع لكم التيمم وغيره من الأمور التي تيسر عليكم أداء العبادات، فضلاً من الله ورحمة بعباده المؤمنين، وقد أشار إلى هذا بالتفصيل صاحب تفسير المنار، حيث قال: "ما نفاه الله تعالى من الحرج في هذه الآية، قاعدة من قواعد الشريعة، وأصل من أعظم أصول الدين... وقد أطلق نفي الحرج، والمراد به هنا: أولاً: ما يتعلق بأحكام الآية، أو بما تقدم من أحكام من أول السورة، ثانياً: وبالتبع: جميع أحكام الإسلام؛ ولهذا لم يقل: ما يريد الله؛ ليجعل عليكم من حرج فيما شرعه لكم من أحكام الطهارة؛ لأن حذف المتعلق يؤذن بالعموم" (1).

الاستدراك بلفظ ﴿وَلَكِنْ﴾؛ لتأكيد نفي الحرج الجسدي والنفسي:

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظَهِّرَكُمْ﴾، أي: من الأحداث والجنابات والذنوب، وفي الاستدراك إشارة إلى أن من حكمة الأمر بالغسل والوضوء التطهير، وهو تطهير جسدي، لأنه تنظيف، وتطهير نفسي جعله الله فيه لما جعله عبادة؛ فإن العبادات كلها مشتملة على عبادة أسرار: منها ما تهتدي إليه الأفهام، ونعبر عنها بالحكمة، ومنه ما لا يعلمه إلا الله، ككون الظهر أربع ركعات، فإذا ذكرت حكم للعبادات؛ فليس المراد أن الحكم منحصرة فيما علمناه، وإنما هو بعض من كل، وظن لا يبلغ منتهى العلم، فلما تعدد الماء؛ عوض بالتيمم، ولو أراد الحرج؛ لكلفهم طلب الماء، ولو بالثمن أو ترك الصلاة إلى أن يوجد الماء، ثم يقضون الجميع، فالتيمم ليس فيه تطهير جسدي، وفيه التطهير النفسي الذي في الوضوء، لما جعل التيمم بدلاً عن الوضوء، كما تقدم في سورة النساء (2).

دلالة الحذف على الاختصار والتعميم في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ

لِيُظَهِّرَكُمْ﴾:

وقد حذف مفعول الفعل ﴿يُرِيدُ﴾ من قوله: ﴿يُرِيدُ لِيُظَهِّرَكُمْ﴾،

العبادات
أسرار؛ منها ما
تدركه الأفهام،
ومنها ما لا
يعلمه إلا رب
الأنام

(1) رضا، تفسير المنار: 6/269.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/131.

ما يُريدُه الله
نافذٌ بالأصالة،
وإرادته خيرٌ
ويسرُّ لا محالة

وتقديره: "يريد ما شرعه لكم من الوضوء والغتسال... ليُطهركم"،
وسرُّ الحذف: هو الاختصارُ والتعميمُ، وحتى تتوجَّه الإرادةُ إلى
التَّطهيرِ، وما عُطِفَ عليه من تمام النعمة والشُّكرِ عليها، فإنها في
ذاتها غاياتٌ ساميةٌ جديرةٌ بالاعتبار، فما يريدُه الله ينبغي أن نُقبلَ
عليه، ونَحْرَصَ عليه، وفي التعبيرِ بالفعلِ ﴿يُرِيدُ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ ما
يريدُه الله نافذٌ، ويجبُ امتثالُه والانقيادُ إليه.

مفهوم تمام النعمة في تشريع الرخصة بالتيَمُّم في قوله: ﴿وَلْيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾:

بالشُّكرِ والطَّاعة
تدوُّمُ النِّعَمِ،
ويبقى من الله
العطاء والكرم

﴿وَلْيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: "لِيَتِمَّ بِشَرْعِهِ - ما هو مَطَهْرَةٌ
لِأَبْدَانِكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِدُنُوبِكُمْ - نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ، أَوْ لِيَتِمَّ
بِرُخْصَتِهِ إِنْعَامُهُ عَلَيْكُمْ بِعَزَائِمِهِ" (1).

استعارة صيغة الرجاء إلى الأمر لِقَصْدِ الْحَثِّ عَلَيْهِ في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

من لبس النعمة
- ولم يشكر -
نزعَتْ عنه، ولم
يشعر

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: تَشْكُرُونَهُ عَلَى تَيْسِيرِ دِينِهِ وَتَطْهِيرِكُمْ،
وإتمام النعمة عليكم، والترجِّي المنتظر هنا من البشر، وليس من
الله تعالى، وقد جعلَ الله تعالى الشُّكْرَ "عِلَّةً لِإِتِمَامِ النِّعْمَةِ عَلَى
طَرِيقَةِ الْمَجَازِ، بِأَنْ اسْتُعِيرَتْ صِيغَةُ الرَّجَاءِ إِلَى الْأَمْرِ، لِقَصْدِ الْحَثِّ
عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ فِي صُورَةِ الْأَمْرِ الْمُسْتَقَرِّبِ الْحُصُولِ" (2)، فإيثارُ هذه
الصَّيغَةِ جاء على سبيل الحثِّ على الشُّكرِ وتحريكِ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ
نَحْوَ اسْتِقْبَالِ نِعَمِ اللَّهِ، وتيسيره بالرِّضَا والامتنانِ، والعملِ الصَّالِحِ
الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمُنْعَمِ الْمُتَفَضِّلِ.

(1) البَيْضاوي، أنوار التَّنْزِيلِ: 1/139.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيزُ وَالتَّنْوِيرُ: 6/132.

❖ الفروق المعجمية:

التطهير والنظافة:

قوله: ﴿فَاطْهَرُوا﴾، المعنى: متعلق بالجنابة، يقول: فتطهروا بالاغتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها⁽¹⁾، وقيل: ﴿فَاطْهَرُوا﴾، أي: بالماء، أي: اغتسلوا به، قال المهايمي: أي: بالغوا في تطهير البدن؛ لأنه يتلذذ به الجميع تلذذاً أغرقه في غير الله، فأثر فيه بالحدث⁽²⁾، والظاهر هنا: هو النقاء من ذلك الأذى، فإن وصف حائض يقابل بظاهر، وقد سميت الأقراء: أطهاراً، وقد يراد بالتطهر الغسل بالماء، كقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: 108]، فإن معناه: الاستنجاء في الخلاء بالماء، وأما النظافة؛ فمن: نظف ينظف تنظيفاً⁽³⁾، وهي - أيضاً - غسل الوسخ والدرن والدنس، ويقال للأشنان وما أشبهه: نظيف، لتنظيفه اليد والتوب من غمر اللحم والمرق، ووضر الودك، وما أشبهها، قال أبو بكر في قولهم: فلان نظيف السراويل، معناه: أنه عفيف الفرج، وهو معنى مجازي⁽⁴⁾، فالنظافة: النقاوة، وقد نظف الشيء بالضم، فهو نظيف، ونظفته أنا تنظيفاً، أي: نقيته، والتنظف: تكلف النظافة⁽⁵⁾، والفرق بينهما: أن النظافة تطهير حسي ظاهري، وأن الطهارة: تجمع بين النقاوة الظاهرية، والنقاوة المعنوية التي تطهر الباطن زيادة على الظاهر.

الصعيد والتراب:

لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار⁽⁶⁾، والصعيد: التراب، "وقال آخرون: الصعيد: وجه الأرض، وقال آخرون: بل هو وجه الأرض ذات التراب والغبار، وأولى ذلك بالصواب قول من قال: هو وجه الأرض الخالية من النبات، والغروس، والبناء المستوية، ومنه قول ذي الرمة:

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى يَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ *** دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ⁽⁷⁾.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 8/212.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 4/76.

(3) الخليل، العين: (نظف).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (نظف).

(5) الجوهري، الصحاح: (نظف).

(6) الشافعي: تفسير الإمام الشافعي: 2/611.

(7) ابن جرير، جامع البيان: 7/82.

وكون الصَّعيد بمعنى: التُّراب، عليه أكثر أهل اللُّغة⁽¹⁾، وقد قال بعض الفقهاء: إنَّ الصَّعيد وجه الأرض، سواء كان عليه التُّراب أو لم يكن، ويرى التَّيَمُّم بوجه الصَّفاة الملساء جائزًا، وإن لم يكن عليها تراب؛ إذ يمسح بها المتيمِّم، قال: وسمَّى وجه الأرض صعيدًا؛ لأنَّه صعد على الأرض، ومذهب أكثر الفقهاء أنَّ الصَّعيد في قوله (ﷺ): ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّسَاء: 43] أنَّه التُّراب الطَّاهر وجد على وجه الأرض، أو أخرج من باطنها، ومنه قوله (ﷺ): ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40]⁽²⁾، وعليه: فإنَّ الصَّعيد أعمُّ من التُّراب، فكلُّ تراب صعيدٌ، وليس كلُّ صعيد ترابًا.

(1) الخفاجي، عناية القاضى: 3/141.

(2) الأزهرى، الرَّاهِر في غريب أَلْفَاظ السَّافِعِي، ص: 34.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 8، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-60-6

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 8: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-60-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»